ويجتمعوا للقتال فرحل عنها وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وأحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله
لكثرة الوحل والمطر وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة من السنة وتفرقت العساكر وأعطى
كل طائفة منها دستورا وسار كل قوم إلى بلادهم وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة
عكا إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم نزل على كوكب في أوائل المحرم من السنة
ولم يبق معه من العسكر إلا القليل وكان حصنا حصينا وفيه الرجال والأقوات فعلم أنه
لا يؤخذ إلا بقتال شديد فرجع إلى دمشق ودخلها في سادس شهر ربيع الأول من السنة قال ابن
شداد ولما كان على كوكب وصلت إلى خدمته ثم فارقته ومضيت لزيارة القدس والخليل
عليه السلام ودخلت دمشق يوم دخول السلطان إليها قلت وقد ذكرت هذا في ترجمته قال
وأقام بدمشق خمسة أيام ثم بلغه أن الفرنج قد قصدوا جبيل واغتالوها فخرج مسرعا وكان قد
سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك
وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل
إلى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه فسار نحو حصن الأكراد قال ابن شداد في السيرة أنا اتصل
بخدمة السلطان في مستهل جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وجميع ما ذكرته فهو رواية عمن
أثق به ومن هنا ما أسطره إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أثق إليه خبرا يقارب العيان قال لما كان
يوم الجمعة رابع جمادى الأولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبئة حسنة ورتب الأطلاب وسار
الميمنة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الآخر ومقدمها مظفر الدين
بن زين الدين فوصل إلى انطرطوس نهار الأحد سادس جمادى الأولى فوقف عليها ينظر إليها
لأن قصده كان جبلة فاستهان بأمرها وعزم على قتالها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على
جانب البحر والميسرة على جانب الأرض ونزل هو موضعه والعساكر محدقة من البحر إلى البحر وهي مدينة راكبة
على البحر ولها برجان كالقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وبادروها فما استتم
نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها وأخذوها بالسيف وغنم المسلمون جميع من بها وما بها وأحرق
البلد وأقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين فما زال يحاربه حتى
أخربه واجتمع به ولده الملك الظاهر لأنه كان قد طلبه فجاءه في عسكر عظيم يريد جبلة وكان وصوله
إليها في ثاني عشر جمادى الأولى وما استتم نزول العسكر عليها حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون
مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتالا شديدا ثم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر
جمادى الأولى من السنة وأقام عليها إلى الثالث والعشرين منه ثم سار عنها إلى اللاذقية وكان
نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى وهو بلد مليح خفيف على القلب غير مسور
وله ميناء مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال إلى آخر النهار
فأخذوا البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار وجدوا في أمر
القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعا وعرضه أربعة أذرع فلما رأى
أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر
والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغلال والذخائر والسلاح
وآلات الحرب فأجابهم إلى ذلك ورفع العلم الإسلامي عليها يوم السبت وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع

والعشرين من الشهر فرحل عنها إلى صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهد
في القتال فأخذوا البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة ثم تقدموا إلى القلعة وصدقوا القتال فلما عاينوا
الهلاك طلبوا الأمان فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل
صغير ديناران الذكر والأنثى سواء وأقام السلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدة قلاع منها بلاطنس وغيرها
من الحصون ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة وقاتلوها
قتالا شديدا إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ثم يسر الله فتحها عنوة فقتل أكثر من بها وأسر الباقون وغنم
المسلمون جميع ما كان فيها ولها قلعة تسمى الشغر وهي في غاية المنعة يعبر إليها بجسر ليس عليها طريق
فسلطت المجانيق عليها من جميع الجوانب ورأوا أنه لا ناصر لهم فطلبوا الأمان وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر
الشهر ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة
سادس عشر الشهر ثم سار إلى برزيه وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها المثل في
بلاد الفرنج يحيط بها أودية من جميع جوانبها وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعا و
كان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين
منه ثم سار إلى دربساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتالا شديدا
ورقي العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وأعطاها الأمير علم الدين سليمان
بن جندر وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة
بالقرب من انطاكية وقاتلها مقاتلة شديدة وصعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان وراسله
أهل انطاكية في طلب الصلح وصالحهم لشدة ضجر العسكر من البيكار وكان الصلح معهم على أن يطلقوا كل
أسير عندهم والصلح إلى سبعة أشهر فإن جاءهم من ينصرهم وإلا سلموا البلد ثم رحل السلطان فسأله
ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلك فوصل إلى حلب حادي عشر شعبان وأقام
بالقلعة ثلاثة أيام وولده يقوم بالضيافة حق القيام وسار من حلب فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه
وأصعده إلى قلعة حماه وصنع له طعاما وأحضر له سماعا من جنس ما يعمل الصوفية وبات فيها ليلة
واحدة وأعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة
ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل القتال حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر
شوال وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك سلمها نواب صاحبها وخلصوه بذلك لأنه كان في الأسر
من نوبة حطين قلت هذا ذكره وهذا لا يسلم مع ما قلته فقد تقدم قبل هذا أن البرنس ارناط صاحب
الكرك والشوبك أسر في وقعة حطين ثم قتله السلطان بيده فيكشف عن ذلك من مكان آخر ليتحقق
قال ثم سار إلى كوكب ونازلها وقاتلها مقاتلة شديدة والأمطار متواترة والوحول متضاعفة
والرياح عاصفة والعدو متسلط لعلو مكانه فلما تيقنوا أنهم مأخوذون طلبوا الأمان فأجابهم
إليه وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة ثم نزل الغور وأقام بالمخيم بقية الشهر
وأعطى الجماعة دستورا وسار مع أخيه العادل يريد زيارة القدس في ذي الحجة وصلى بها العيد و
توجه في حادي عشر ذي الحجة إلى عسقلان لينظر أمورها وأخذها من أخيه العادل وعوضه عنها الكرك ثم مر
على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ثم دخل عكا فأقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين يصلح أحوالها
ورتب الأمير بهاء الدين قراقوش واليا عليها وأمره بعمارة سورها وسار إلى دمشق فدخلها في مستهل

Copyright King Saud University